هزيمتهم[١] وكما لمح الله تعالى ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ نرى أنهم ضربوا فوق الأعناق وهم كبار المشركين فقتل عليٌّ عليه السلام منهم شطر شطيراً والباقون الشطر الأخير وقتلى المحاربين معدودون بأسمائهم[٢].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

---

(١) في المجمع ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره أن جبرائيل قال للنبي صلى الله عليه وآله يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما التقى الجمعان لعلي عليه السلام: أعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفاً من حصا عليه تراب.
وفي المغازي للواقدي: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر بالقليب، أن تغور ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها كلهم إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمناً انتفخ من يومه فلما أرادوا أن يلقوه تزايل لحمه فقال النبي صلى الله عليه وآله: اتركوه فأقروه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه، ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلاً رجلاً: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس.
فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.
وفي الأمالي بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً لقد كذبتموني صادقاً وخونتم أميناً، ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحّد الله وإن هذا لما أيقن بالهلاك دعا باللّات والعزّى.

(٢) في الإرشاد أنه قد أثبتت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح فكان ممن سموه: الوليد ابن عتبة وكان شجاعاً جريّاً وقّاحاً فتاكاً تهابه الرجال، والعاص بن سعيد وكان هولا عظيماً تهابه الأبطال، وطعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال، ونوفل بن خويلد وكان من أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطبعه ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضوره بدراً سأل الله أن يكفيه أمره فقال: اللهم اكفني نوفل بن خويلد فقتله أمير المؤمنين عليه السلام -
وزمعة بن الأسود والحارث بن زمعة والنضر بن الحارث وعمير بن عثمان وعثمان ومالك ابنا عبيد الله أخوا طلحة بن عبيد الله ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة وقيس بن الفاكهة بن المغيرة =

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾:

«ذلك» الخزي لهم أولاء الكافرين و«ذلك» النصر لهؤلاء المؤمنين «بأنهم» أولاء المشاغبين ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ جعلوا أنفسهم في شق فذٍّ،

= وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وحنظلة بن أبي سفيان وعمرو ابن مخزوم وأبو منذر بن أبي رفاعة ومنبَّه بن الحجاج السهمي والعاص بن منبَّه وعلقمة بن كلدة وأبو العاص بن قيس بن عدي ومعاوية بن المغيرة ولوذان بن ربيعة وعبد الله بن المنذر ومسعود بن أمية وحاجب بن السائب بن عويمر وسعيد بن وهب ومعاوية بن عبد القيس وعبد الله بن جميل والسائب بن مالك وأبو الحكم بن الأخنس وهشام بن أبي أمية بن المغيرة - فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره وهم أكثر من شطر المقتولين.

وجعلوا الله ورسوله في شق آخر، فأخذوا يشاقون الله ورسوله، إذاً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

«ذلك» العقاب يوم الدنيا ﴿فَذُوقُوهُ﴾ وكضابطة شاملة «إن عليه السلام ثم الشهداء الأربعة عشر معروفون بأسمائهم[1].

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بدركاتهم ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة، ولات حين فرار.

ذلك، وقتلى بدر السبعين قُتل شطر منهم كبير بيد أمير المؤمنين

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾:

تكتيكات حربية إسلامية يذكر منها هنا شطرات هامة لمسارح الزحف، إذا طُبِّقت كانت من قضاياها الانتصار إلى جنب ما على المحاربين المسلمين من سائر الشروطات المسرودة في الكتاب والسنة.

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب لعامة المؤمنين أياً كانوا وأيان، كما ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعمهم كلهم دون اختصاص ببدر وسواها زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم سواه.

(١) في البحار عن الواقدي قال: حدثني عبد الله بن جعفر قال سألت الزهري كم استشهد من المسلمين ببدر؟ قال: أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار قال: فمن بني عبد المطلب عبيدة بن الحارث قتله عتبة أو شيبة فدفنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصفراء، ومن بني زهرة عمير ابن أبي وقاص قتله عمرو بن عبدود فارس الأحزاب وعمير بن عبد ود ذو الشمالين حليف لبني زهرة قتله أبو أسامة الجشمي، ومن بني عدي عاقل بن أبي البكير حليف لهم من بني سعد قتله مالك بن زهير، ومهجع مولى عمر بن الخطاب قتله عامر بن الحضرمي ومن بني الحارث ابن فهر صفوان بن بيضاء قتله طعيمة بن عدي - ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر قتله أبو ثور وسعد بن خيثمة قتله عمرو بن عبد ود ويقال طعيمة بن عدي ومن بني عدي بن النجار حارثة بن سراقة رماه حنان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فقتله، ومن بني مالك بن النجار عوف ومعوذ ابنا عفراء قتلهما أبو جهل، ومن بني سلمة عمير بن الحمام ابن الجموح قتله خالد بن الأعلم ومن بني زريق رافع بن المعلى قتله عكرمة بن أبي جهل، ومن بني الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث قتله نوفل بن معاوية فهؤلاء الثمانية من الأنصار.

وهنا اللقاء زحفاً هو موضوع لشديد النهي عن تولية الأدبار، وصحيح أن الضابطة الثابتة في لقاء العدو هي حرمة الفرار إلّا . . . ولكن اللقاء زحفاً هو أهم مواضيع الحكم.

والزحف هو الدنو رويداً على مَهَل، من الذين كفروا إلى الذين آمنوا أم منهم إليهم، أو الزّاحف منهما، ولأن اللقاء زحفاً ليس إلا بحساب من الزاحف وتحسُّب من المزحف إليه، تحاسُبٌ حسب الملابسات المحيطة بالطرفين، فالأصل فيه حرمة تولي الأدبار، وهو من السبع الموبقات[١].

ذلك، ولأنه دون مبرر منصوص مرصوص فتٌّ لعضد الإسلام وثلم لكرامته، و«لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة عليهم السلام وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين وما يكون من السبي والقتل وإبطال دين الله عزوجل وغيره من الفساد»[٢].

ذلك و«أن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال، إنه ضلال في الدين وسَلَب في الدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف بحضرة القتال. . .»[٣].

---

(١) نور الثقلين ٢: ١٢٨ في عيون الأخبار في باب ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وحرم الله تعالى الفرار من الزحف لما فيه. . .
وفيه في الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال: وأما الثالثة والستون فإني لم أفر من الزحف قط ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه، وفيه عن العياشي عن زرارة عن أحدهما عليه السلام قال قلت: الزبير شهد بدراً؟ قال: نعم ولكنه فر يوم الجمل، فإن كان قاتل المؤمنين فقد هلك بقتاله إياهم وإن كان قاتل كفاراً فقد باء بغضب من الله حين ولاهم دبره.

(٢) تفسير البرهان ٢: ٦٩ عن الكليني بسند متصل عن عقيل الخزاعي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال الله:

(٣) لقد تواردت الروايات حول اختصاص حرمة الفرار من الزحف ببدر وعدمه ومن الثاني وفقاً =

وهنا ﴿إِذَا لَقِيتُمُ﴾ تضيق دائرة حرمة الفرار هذه، فحين يهاجم العدو، ولا مكافأة في البين، فقد يجوز أو يجب الفرار حفاظاً على نفوس محترمة محرَّمة أن تهدر دون سبب مبرَّر.

وهل تحدِّد آية التخفيف حرمة الفرار من الزحف بالمكافأة المضاعفة لجيش العدو؟: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1].

علَّها نعم، فإنها تحمل ضابطة للمكافأة؟ وعلّها لا، حيث إن حقل حرمة الفرار هو مسرح لقاء العدو زحفاً، فأما وجوب لقائه بما دون المكافأة، أم حرمة الفرار عند الهجمة المباغتة ولا مكافأة، فلا! وقد يأتي تفصيل البحث عند آية التخفيف.

وأما في اللقاء زحفاً منهما أو من إحداهما فالحكم كلمة واحدة حرمة الفرار إلّا.

ومن غريب الوفق عديداً في القرآن أن كلًّا من «الجهاد» و«المسلمين» بمختلف صيغهما هو (٤١) مرة، مما يلمح أن الإسلام لزامه الجهاد في سبيله.

---

= لطليق الآية في الدر المنثور ٣: ١٧٤، أخرج ابن مردويه عن أمامة مولاة النبي ﷺ قالت: كنت أوضئ النبي ﷺ أفرغ على يديه إذ دخل عليه رجل فقال: يا رسول الله أريد اللحوق بأهلي فأوصني بوصية أحفظها عنك قال: لا تفر يوم الزحف فإنه من فر يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، وفيه عن ابن عمر قال: لما نزلت هذه الآية قال لنا رسول الله ﷺ: قاتلوا كما قال الله: وفيه أنه ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات السبع يقول: اللّهم إني أعوذ بك وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله ﷺ وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

ومن وصايا إمام المجاهدين علي أمير المؤمنين بشأن الحروب: «تزول الجبال ولا تزول، عضَّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تِدْ في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم وغضَّ بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه»[(١)].

معاشر المسلمين! استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللامة - الدرع - وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلِّها، والحظَوا الخزْر، واطعنوا الشزر، ونافخوا بالظُّبَا، وصِلوا السيوف بالخُطى، واعلموا أنكم بعين الله..

فعاودوا الكرَّ، واستحيوا من الفرِّ، فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، وطيِّبوا عن أنفسكم نفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سُجُحاً - سهلاً - فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الدين وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم[(٢)].

«فقدموا الدارع وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا في أطراف الرماح فإنه أموَر للأسنَّة، وغُضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل، ورايَتكم فلا تُميلوها ولا تخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانِعين الذِّمار منكم... وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة... إن في الفرار موجدةَ الله، والذلَّ اللَّازم والعار الباقي، وإن الفار لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه»[(٣)].

«وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطةَ جأشٍ عند اللقاء ورأى من أحد

(١) (الخطبة ١١).
(٢) (الخطبة ٦٤).
(٣) (الخطبة ١٢١).

من إخوانه فشَلاً فليذُبَّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضِّل بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله، إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يُعجزه الهارب، إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش» ذلك:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾:

فالتحرف لقتال والتحيز إلى فئة هما فرار للقرار فلا عار فيهما ولا بوار، فـ«لا» تشتدن عليكم فرَّة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة، ووطئوا للجيوب مصارعها، وإذ مروا أنفسكم على الطعن الدَّعسي - الشديد - والضرب الطلحفي - القوي -» (٢٥٥).

فتولي الدبر في المصاف الزاحف محظور كضابطة، وهو محبور كتصبره في مجالين اثنين: ١ - ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: متطرداً يريد الكرة عليهم تحولاً إلى قتال أمكن وأقوى. ٢ - ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ من المؤمنين، متأخراً إلى أصحابه من غير هزيمة، ضماً لهم إليهم إلى المواجهة، أم وكل قوة يحصل عليها في ذلك التولي، فأما التولي فراراً، أم والتولي دون عائدة في الرجوع، فغير مسموح للمناضل بتّاً.

فـ«من انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله»[1].

وهنا لمحة من الضمائر المفردة أن استثناء المنع عن تولي الدبر ليس يشمل توليه جميعاً، بل هو تولي الأفراد تحرفاً لقتال أو تحيزاً إلى فئة.

وترى هنا ﴿بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ليست

(١) في تفسير العياشي عن موسى بن جعفر عليه السلام في الآية وذكر هذه الجمل الثلاث المذكورة في المتن.

لتستثنى؟ ولقد عفى الله عنهم يوم أُحد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] ويوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

إذاً فالفرار من الزحف هو كسائر الكبائر من موارد المغفرة بالتوبة الصالحة[3].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾:

بعد هذه الخوارق لعادات الحرب وتكتيكاتها، في هذه الهزيمة العظيمة للمشركين الكثرة بالمؤمنين القلة، لم يكن عاملها وعامل هزيمتهم لا الرسول ولا المؤمنون ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ في الحق بطاقاتكم البشرية العاديّة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بما نصركم في حلقات ظاهرة وباطنة.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ رمية الحرب وما أشبه ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ حيث هداك ونصرك وعبَّد لك طريق النصر، هذه الشائكة الخطرة الملتوية،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٣) وقد روى أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي من حديث ابن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب، ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا؟ ثم قلنا: لو عرضنا نفوسنا على رسول الله ﷺ فإن كان لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: من الفرارون؟ فقلنا: نحن الفرارون، قال: بل أنتم العكارون، أنا فئتكم وفئة المسلمين، قال: فأتيناه حتى قبلنا يده.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ - ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ - ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بذلك القتل الرباني وليبلى ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾ حتى يلمسوا نصر الله، تحقيقاً لوعد الله واستغاثتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ذلك، ومع أنا لا نجد قتلات ورميات للرسول ﷺ في هذه المعركة، نجد الرمية - وكأنها هي الوحيدة - خاصة بالرسول ﷺ في هذه التصريحة اليتيمة، فما هي هذه الرمية البارزة بين كل رمية؟

إنه ليس الواجب الهام على قائد القوات المسلحة أن يتولى القتلة والرمية بنفسه، فإنما مهمته قيادته الحكيمة وخطته العاقلة في كل رمية وقتلة، وإذاً تصح نسبة كل المحاصيل الحربية إلى القائد نفسه، رغم عدم خوضه لأصل المعركة بنفسه، أم وعدم حضوره فيها، فضلاً عن الرسول ﷺ الخائض بنفسه هذه الحرب، مخططاً لها بنفسه منذ خروجه من المدينة حتى الانتصار الكامل.

وهنا اختصاص الرمية المنفية بالرسول ﷺ وتعميم القتلة المؤمنين معه، دليل اختصاص الرمية القيادية به، رمياً للقوات الإيمانية إلى صفوف المشركين بما رمى.

ففي نقطة الانطلاق نجد الرسول ﷺ هو البادئ والمحرض ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ثم قبل المواجهة ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1] وعند الاستغاثة غوثاً وغيثاً هو المستغيث أولاً: «اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف به ماداً يديه حتى سقط رداءه من منكبه فنزل» إذ تستغيثون.

ومن قبل هو الذي أراهم قبل الخروج والمواجهة مصارع القوم بما أراه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.

الله حتى رأوها بأم أعينهم، ثم هو الذي كان يثبتهم ويرشدهم ويخطط لهم خطوة خطوة حتى النهاية:

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبأَ أصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يتعاقبون على جمل لمرثد فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة ابن الحارث - وكان له يومئذٍ سبعون سنة - فقال: قم يا عبيدة، ونظر إلى حمزة فقال: قم يا حمزة ثم نظر إلى علي عليه السلام فقال: قم يا علي وكان أصغر القوم - فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله، وقال لحمزة: عليك بشيبة وقال لعلي عليه السلام: عليك بالوليد...

وهكذا نجده من خلال هذه الحرب يقودهم روحياً وحربياً خطوة خطوة دون أن تغيب عنه حركته، إذ كانت كافة الحركات والتكتيكات بقيادته الشخصية، ومن ناحية أخرى لما يرى العدو فاعلية القوات المسلحة - القوية الصارمة - بتلك القيادة الحكيمة، فهم يحسبون ألف حساب لقائد القوات ليسوا ليحسبوها لو أنه هو الداخل بنفسه في القتال، لذلك فأصل الرمي في هذه الحرب كان من أصل القيادة الرسولية، ثم الله ينفيه عنه - أيضاً - ناسباً له إلى نفسه - كما القتل العام -، إذ هو الذي أيدهم بنصره ما لولاه لكانوا خطف ساعة! إذاً فسلب القتل عنهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ سلبٌ واقع لا مرد له إذ لم يكونوا يَقتلون - بل يُقتلون - لولا الشروطات الإيجابية والسلبية الربانية لتلك القتلة الخارقة للعادة، فهم في أنفسهم صفر الأيدي عن تلك القتلة الغالبة المنقطعة النظير، فقد قتلهم بما طمأن الله قلوب المؤمنين، وأنزل عليهم من السماء ماءً فوطّد رملتهم أولاء وأوحل طينتهم هؤلاء ففشلوا في مواطئهم، وأنزل ألفاً من الملائكة مردفين